اتباع الهوى مظاهره خطره علاجه

تأليف

سليمان بن صالح الغصن

دار العاصمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل لـــه ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِـــدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّـــهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّـــهَ كَـــانَ عَلَـــيْكُمْ رَقِيبًـــا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْـــلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد

فإن من أعظم الآفات التي قد يصاب بها المسلم اتباع الهوى.

وإن من يقلب طرفه في أحوال الناس ، ويصغى سمعه في أقوالهم يرى ويسمع من تلك الأهواء التي تتجارى بهم عجبًا.

فيرى أناسًا يمدحون أمورًا ثم يـــذمونها ويعيبـــون أشـــياءً ثم يفعلونها، وقد يأخذون على شخص في مقـــام المســـؤولية بعـــض تصرفاته دون تأمل أو نظر في مبناها الشرعي وإذا تولى أحدهم هذه المسؤولية عمل ما كان يعيب به أخاه وأكثر.

ويرى أناسًا يتقبلون أقوالاً وأفعالاً ويتبنون أفكارًا لأنها صادرة عن فلان من الناس ولو عملها غيره لم تحظ منهم بقبول بل ربمـــا تقابل برد ونفور.

ويعجب الإنسان من أشخاص يعملون أمورًا ظاهرة العيـــب، واضحة الخطأ ومع ذلك يستميتون في الدفاع عنها وبيان صـــوابها، ويذكرون مسوغات لفعلها يضحك منها عامة الناس فضـــلاً عـــن خواصهم.

وغير ذلك كثير كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وما ذاك إلا لأن صاحب الهوى لا يرى إلا الهوى، فإذا تكلـــم فبهوى، وإذا صمت فلهوى، وإذا فعل فلهوى، وإذا ترك فلـــهوى، ولأنه يعيش في محيط هواه الذي أضله وأعماه وأصـــمه ، والـــذي أسره وقيده، فإن الهوى يأسر صاحبه كما قال شـــيخ الإســـلام – رحمه الله – «المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أســـره هواه»[1].

ولخطورة هذا الموضوع وانتشاره في الناس علـــى اخـــتلاف طبقاتهم، وتنوع مواردهم، وتباين مستوياتهم أحببت أن أســـهم في

(١) ذيل بقات الحنابلة، (٢/٤٠٢).

بيانه والتحذير منه، وذكر شيء من علاجه؛ لعلي أفيد منه نفسي، ولعل غيري يجد فيه ما يفيد وينفع وليكون دافعًا لمزيد من الكتابـــة فيه من أولي العلم والعدل كتابة أقوم وأوسع، وما أبرئ نفسي من النقص والخلل فإن هذا من سمة البشر، وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢]. وأسأل الله تعالى العافية والحفظ من الهوى والزيغ والزلـــل. هـــذا وسيلاحظ القارئ الكريم أني أكثرت من ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وأطلت النقل عنه وما ذاك إلا لأني وجدت له في ذلـــك كلامًا رصينًا قويمًا، فأثرت الاكتفاء به عن غـــيره في كـــثير مـــن الأحيان.

وإني ألتمس من كل ناصح يطلع على هذه الرسالة ويجد فيها خطأ أو نقصًا — ولا بد أن يوجد — أن ينبهني عليه، ويرشدني إلى الصواب، شاكرًا له صنيعه، وداعيًا له بالتوفيق والسداد.

وأخيرًا فإني أشكر كل من اطلع على هذه الرسالة من المشايخ الفضلاء على ما أبدوه وأضافوه وأرشدوا إليه من ملحوظات قيمة، داعيًا الله لهم أن يأجرهم ويثيبهم ويبارك في جهودهم.

وأسأل الله تعالى أن يجنب الجميع مضلات الهوى في الشـــؤون كلها، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والسر والعلـــن، وأن يهدينا ويسددنا فيما نفعل وما نذر، وصلى الله على نبينـــا محمـــد وعلى آله وصحبه وسلم.

تعريف الهوى

الهوى في الأصل هو ميل النفس إلى ما تحب من الخير أو الشر.

ويعرفه ابن الجوزي – رحمه الله – بأنه:

«ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل وإلى المشرب ما شـــرب، وإلى المنكح ما نكح وكذلك كل ما يشتهيه، فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذي، فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يذم المفرط من ذلك وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار ولما كان الغالب من موافق الهوى أنه لا يقف منه على حد المنتفع أطلق ذم الهوى والشهوات لعموم غلبة الضرر»(١).

وقال ابن رجب – رحمه الله –:

«وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقًا، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد إليه»(٢).

واستدل – رحمه الله – على قوله ببعض الآثار، ومنها ما جاء أنه لما نزل قوله – تعالى –: ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ**﴾ [الأحزاب: ٥١]. قالت عائشة للـــنبي ﷺ: «مـــا أرى ربك إلا يسارع في هواك»(٣).

(١) ذم الهوى لابن الجوزي، ص١٢.
(٢) جامع العلوم والحكم، ٣/٢٢٧.
(٣) رواه البخاري، في كتاب التفسير، سورة الأحزاب، ٦/٢٤.

ويمكن أن يستشهد للهوى الممدوح بما روي في الحديث أنــه ﷺ، قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»(١). ففي الحديث دلالة على أن الهوى قد يكون تابعًا لسنة الرسول ﷺ، مائلاً إليها محبًا لها ونابعًا منها فيكون صاحبه ممدوحًا ومثنيًا عليــه بالإيمان.

إذن فالهوى في الأصل ميل النفس إلى ما تهواه، فإن مالــت إلى ما يخالف الشرع فهو الهوى المذموم، وإن مالت إلى ما يوافق الشرع فهو الممدوح، وإذا ذكر الهوى مطلقًا أو ذكر ذمه فإنما يــراد بــه الهوى المذموم لأنه الغالب والله أعلم.

واتباع الهوى المذموم قد يكون في أمور الدين وقد يكــون في شهوات الدنيا أو بعبارة أخرى قد يكون في الشبهات وقد يكــون في الشهوات، وقد يكون في أمر مشترك بينهما.

وهوى الشبهة قد يوصل صاحبه إلى حد الابتداع في الــدين وهو المراد في عامة كلام السلف حينما يتحدثون عن أهل الأهواء، فإنما يريدون بذلك أهل البدع.

وأما هوى الشهوة فقد يكون في الأمــور المباحــة كالأكــل والشرب والنكاح والملبس وقد يكون في الأمور المحرمــة كالزنــا والخمر ومرتكب هذه المحرمات يسمى فاجرًا وفاسقًا وعاصيًا (٢).

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة ١٢/١، برقم ١٥، وابن بطة في الإبانة ٣٨٨/١، وغيرهما. والحديث ضعفه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٢٢٠/٣، والألباني في تخريجه لكتاب السنة لابن ابي عاصم ١٢/١.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٣/٢٨-١٤٤.

قال ابن رجب – رحمه الله –:

«وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ولهــذا يسمى أهلها أهل الأهواء.

وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهــوى علــى محبــة الله ورسوله ومحبة ما يحبه»(١).

وقال الشاطبي – رحمه الله –: «ولذلك سمي أهل البدع أهــل الأهواء، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشــرعية مأخــذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنــها، بــل قــدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظــورًا فيها من وراء ذلك»(٢).

ومما ينبغي أن يعلم أن أهواء الشبهات أعظم وأخطر من أهواء الشهوات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:

«واتباع الأهواء في الديانات أعظم مــن اتبــاع الأهــواء في الشهوات فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كما قال تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَــاعْلَمْ أَنَّمَــا يَتَّبِعُــونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْــرِ هُــدًى مِــنَ اللَّــهِ**﴾ [القصص: ٥٠].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ٢٢٦/٣.

(٢) الاعتصام ١٧٦/٢.

ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء، وذلك أن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه ، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله»[1].

ولذا فسيكون مدار الحديث في هذه الرسالة على أهواء الشبهات، أي الأهواء التي قد لا يشعر أصحابها أنهم على معصية لخفائها لالتباس الحق بالباطل فيها كما يأتي إيضاحه إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) انظر مجموع الفتاوى، ١٣٢/٢٨-١٣٣.

ذم اتباع الهوى

لقد تظافرت النصوص الشرعية والآثار السلفية في ذم الأهواء المضلة والتحذير من اتباعها.

ومن ذلك ما خاطب الله تعالى به نبيه داود عليه السلام بقوله: **﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** [ص: ٢٦]. وقال في حق نبيه محمد ﷺ: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** [الجاثية: ١٨] وقال: **﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [البقرة: ١٤٥]. وقال تعالى: **﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾** [الأنعام: ٥٦]. وقال تعالى مخاطبًا عباده المؤمنين ومحذرًا لهم من اتباع الهوى: **﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾** [النساء: ١٣٥].

وأخبرنا تعالى بأنه لا أحد أضل ممن يتبع هواه بغير هـدى ولا علم كما قال – تعالى – **﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾** [القصص: ٥٠]. وقال تعالى: **﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾** [الأنعام: ١١٩]. والآيات في ذم الأهواء الباطلة والتحذير من اتباعها كثيرة جدًا.

وأما الأحاديث فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبي برزة عن النبي ﷺ قال: «**إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم**

وفروجكم ومضلات الهوى»[1].

وأخبرنا نبينا ﷺ أن اتباع الهوى من المهلكات فقال: «**ثــلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضــا والغضب، والقصد في الفقر والغنى. وثلاث مهلكــات: هــوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه**»[2] ولخطــورة اتبــاع الهوى وشدة مجاهدته على النفس فقد جعل رسول الله ﷺ مجاهــدة الرجل لهواه أفضل الجهاد فقال: «**أفضل الجهاد أن يجاهد الرجــل نفسه وهواه**»[3].

ولقد حذر السلف – رحمهم الله – من الهوى واتباعه، ورهبوا من مجالسة أهله وأصحابه، ومن ذلك ما ذكر عن علــي بــن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: «إن أخوف ما أخــاف علــيكم اثنتان: طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق»[4].

ولما قال رجل لابن عباس – رضي الله عنهما –: «الحمــد لله الذي جعل هوانا على هواكم» قال ابن عبــاس: «الهــوى كلــه

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/٤٢٠، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ١/١٨٨.

(٢) الحديث حسنه المحدث الألباني ، وذكر أنه رواه أبو الشيخ في التوبيخ والطبراني في الأوسط، انظر صحيح الجامع الصغير ١/٥٨٣.

(٣) الحديث صححه المحدث الألباني وذكر أنه رواه ابن النجار وأبو نعيم والديلمي. انظر صحيح الجامع الصغير، ١/٢٤٧.

(٤) رواه الإمام أحمد في الزهد، ص١٩٢.

ضلالة»[١]. وقال ابن عباس – أيضًا –: «لا تجالســوا أصــحاب الهوى فإنهم يمرضون القلوب»[٢].

وقال معاوية: المروءة ترك اللذة وعصيان الهوى [٣].

وقال ميمون بن مهران: إياكم وكل هــوى يســمى بغــير الإسلام[٤].

وعن الحسن أنه كان يقول: «اتهموا أهواءكم ورأيكم علــى دين الله وانتصحوا كتاب الله على أنفسكم»[٥].

وقال أبو قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبســوا علــيكم مــا كنــتم تعرفون»[٦].

وقال إبراهيم النخعي: «لا تجالسوا أهل الأهواء فإن مجالستهم تذهب بنور الإيمان من القلوب وتسلب محاسن الوجوه، وتــورث البغضة في قلوب المؤمنين»[٧].

وقال يونس بن عبيد: «أوصيكم بثلاث فخذوها عني حييــت أو مت: لا تمكن سمعك من صاحب هوى، ولا تخل بامرأة ليست

(١) رواه ابن بطة في الإبانة، ١/٣٥٥.
(٢) رواه ابن بطة في الإبانة، ١/٤٣٨.
(٣) رواه ابن الجوزي في ذم الهوى، ص٢٢.
(٤) رواه ابن بطة في الإبانة، ١/٣٥٤.
(٥) رواه ابن بطة في الإبانة، ١/٣٨٩.
(٦) رواه الدارمي ١/١٠٨، وابن بطة في الإبانة ٢/٤٣٥.
(٧) رواه ابن بطة في الإبانة ٢/٤٣٩.

لك بمحرم ولو أن تقرأ عليها القرآن، ولا تدخلن على أمير ولو أن تعظه»[١].

وقال الشعبي: «إنما سمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه»[٢].

وقال مالك بين دينار: «بئس العبد عبد همه هواه وبطنه»[٣].

وقال بشر: «اعلم أن البلاء كله في هواك، والشفاء كلـــه في مخالفتك إياه»[٤].

ولقد أكثر الشعراء من ذكر الهوى وأحسن كـــثير منـــهم في تصويره والتحذير منه: ومما قيل في ذلك.

إن الهوان هو الهوى قلب اسمـــه

فإذا هويت لقـــد لقيـــت هوانـــا

وقال آخر:

نون الهوان من الهوى مســـروقة

فإذا هويت فقد لقيـــت هوانـــا

وقال آخر:

إن المرآة لا تريك عيوب وجهك مع صداها

وكذلك نفسك لا تريك عيوب نفسك مع هواها

---

(١) المرجع السابق، ٤٤٢/٢.

(٢) رواه الدارمي في سننه ١٠٩/١.

(٣) رواه ابن الجوزي في ذم الهوى، ص٢٣.

(٤) رواه ابن الجوزي في ذم الهوى، ص٢٤.

وقال آخر:

وكل امريء يدري مواقع رشده
ولكنـــه أعمـــى أســـير هـــواه
يشير عليه الناصحون بجهــدهم
فيأبى قبول النصح وهــو يــراه
هوى نفسه يعميه عن قصد رشده
ويبصر عن فهم عيوب سواه [(١)]

والمقصود أن اتباع أهواء النفوس بغير هدى من الشـــرع ممـــا تضافرت على ذمه النصوص الشرعية والآثـــار الســـلفية والحكـــم الشعرية.

وفي الحقيقة فإن اتباع الإنسان لهواه دليل على نقـــص عقلـــه وضعف إرادته وإيمانه وقلة مراقبته لربه.

وهو دليل على فساد القلب وخبث النفس وانطوائهـــا علـــى ركام من الحسد والبغي وحب للعلو والرياسة وحرص على قضـــاء الوطر، وصاحبه شبيه بالأطفال بل بالأنعام، بل هو أضل من الأنعام إذ الهوى يعمي صاحبه ويصمه عن قبول الحق. قال تعالى: ﴿**وَلَقَـــدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَـــا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَـــا أُولَئِـــكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ [الأعراف، ١٧٩].

---

(١) ذكر هذه الأبيات وغيرها ابن الجوزي في ذم الهوى، ص٣٤-٣٥.

ومما ينبغي أن يعلم أن اتباع الهوى ينتج عن أسباب كثيرة من أهمها أمران:

أحدهما: ضعف الإيمان وما يتبع ذلك من آثـــار: كالحســـد والغرور والتطلع إلى الشهرة والتكالب على الشـــهوة، وضـــعف الإرادة والتعلق بالدنيا وغير ذلك.

الثاني: مجالسة أهل الأهواء والتأثر بهم.

***

مظاهر اتباع الهوى

إن اتباع الهوى كثيرًا ما يكون فيه غموض وخفاء، ولذا قد لا يتنبه ولا يدرك المتبع لهواه أنه يفعل ما يفعل أو يقول ما يقول اتباعًا لهواه، وقد لا يشعر الآخرون أيضًا أن هذا الشخص يمارس بعـــض الأشياء اتباعًا لهواه، بل يظنون فيما يصدر منه أن فيه تحريًا للصدق والعدل والحق، وفي الحقيقة فإن هذا الأمر دقيق جدًا، فقد يعمـــل شخص عملاً أو يقول قولاً لهوى في نفسه ،ويعمل شخص آخـــر العمل نفسه ، أو يقول القول نفسه لا لهوى في نفسه ، وإنما نصرة للحق، فيصعب التفريق بين الشخصين ومعرفة الدافع لكل منـــهما، وإنما يعرف حقيقة ذلك الشخص نفسه عند التجرد، وقد يدركـــه بعض الناس لأمارات تظهر على القول أو الفعل وقرائن تحف بهمـــا وبصاحبهما. يقول الشاطبي – رحمه الله – عن قضية اتباع الهـــوى إنها «راجعة في المعرفة بها إلى كل أحد في خاصـــة نفســـه، إلا أن يكون عليها دليل خارجي»[1] وعلى كل حال يمكن ذكر بعـــض المظاهر التي يمكن أن يستدل بها على أن من صدرت منه متبع لهواه. فمن ذلك:

أولاً: تعليق الولاء والبراء بما لم يعلقه الله ورسوله ﷺ، كأن يجعل الشخص ولاءه على من يوافقه في آرائه أو أقـــوال شـــيخه ، وعلى من ينتصر لأقوال طائفته وتوجهات أصحابه أو أهل بلـــده وجماعته انتصارًا مطلقًا دون نظر ولا تمحيص ولا اعتراض، ويجعل

(١) الاعتصام ٢/٢٣٥.

عداءه لمن يخالف ذلك أو ينصب للناس مقالة أو يرفع شعارًا يــوالي ويعادي عليه دون حجة شرعية فهذا من اتباع الهوى.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –:

«ومن نصب شخصًا كائنًا من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو **﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَـانُوا شِـيَعًا﴾** [الأنعام: ١٥٩] وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المـؤمنين مثل اتباع الأئمة والمشايخ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هـم العيار فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم فينبغي للإنســان أن يعود نفسه التفقه الباطن في قلبه والعمل به فهذا زاجر. وكمــائن القلوب تظهر عند المحن، وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه ولا يناجز عليها بل لأجل أنها مما أمر الله بــه ورسوله أو أخبر الله به ورسوله. لكون ذلك طاعة الله ورسوله»[(١)].

وقال – رحمه الله – في موطن آخر:

«ولهذا تجد قومًا كثيرين يحبون قومًا ويبغضون قومًـا لأجـل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها، بل يوالون علـى إطلاقهـا، أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلاً صحيحًا عن النبي ﷺ وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها، ولا يعرفون لازمها ومقتضاها»[(٢)].

(١) مجموع الفتاوى، ٢٠/٨-٩.
(٢) مجموع الفتاوى، ٢٠/١٦٣.

وقال شيخ الإسلام أيضًا:

«وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته ويعادي على ذلك، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمـــان ومـــن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ولا يخص أحدًا بمزيـــد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه، فيقدم من قدم الله ورسوله عليه ويفضل من فضله الله ورسوله»[١].

وقال في موطن آخر:

«وليس لأحد أن ينصب للعامة شخصًا يـــدعو إلى طريقتـــه ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلامًا يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة. بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصًا أو كلامًا يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون»[٢].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله:

«ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين، وكثر تفرقهم، كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكل منهم يظهر أنه يـــبغض لله، وقد يكون في نفس الأمر معذورًا وقد لا يكون معذورًا، بل يكوم متبعًا لهواه، مقصرًا في البحث عن معرفة ما يبغض عليه، فإن كثيرًا من البغض كذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق، وهذا الظن خطأ قطعًا، وإن أريد أنه لا يقول إلا الحق فيما خولف

(١) مجموع الفتاوى، ٥١٢/١١.
(٢) مجموع الفتاوى، ١٦٤/٢٠.

فيه، فهذا الظن قد يخطئ ويصيب، وقد يكون الحامل على الميل إليه مجرد الهوى والألفة أو العادة، وكل هذا يقدح في أن يكون هـــذا البغض لله، فالواجب على المؤمن أن ينصح لنفسه ويتحرز في هـــذا غاية التحرز، وما أشكل منه فلا يدخل نفسه فيه، خشية أن يقـــع فيما نهي عنه عن البغض المحرم.

وهاهنا أمر خفي ينبغي التفطن له وهو أن كثيرًا من أئمة الدين قد يقول قولًا مرجوحًا، ويكون مجتهدًا فيه، مأجورًا على اجتـــهاده فيه، موضوعًا عنه خطؤه فيه، ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة، لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه قـــد قاله، بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة الدين لما قبله ولا انتصر له. ولا والى من يوافقه، ولا عادى من خالفه، ولا هو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق لمنزلة متبوعه، وليس كذلك فإن متبوعه إنما كـــان قصده الانتصار للحق وإن أخطأ في اجتهاده.

وأما هذا التابع فقد شابه انتصاره لما يظنه الحـــق إرادة علـــو متبوعه، وظهور كلمته، وأنه لا ينسب إلى الخطأ، وهذه دسيســـة تقدح في قصد الانتصار للحق فافهم هذا فإنه مهـــم عظـــيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[١].

ومن هنا نعلم مدى الأهواء التي تحصل في نفوس بعض النـــاس ممن يتعلقون بأشخاص ويعجبون بهم ويقلدونهم وتتجمد أفكـــارهم وعقولهم أمام كل ما ينطق به هذا الشخص حتى ربمـــا يحصـــل في

(١) جامع العلوم والحكم ٣/٧٦-٧٨.

نفوس بعضهم هاجس بأن كل ما ينطق به هذا الشخص أو يراه أو يتوقعه فهو الصواب الذي لا يصح لأحد أن يناقش فيه أو يعترض عليه. والمقصود بهذا كله ما يحصل من الآراء والاجتهادات في المسائل التي ليس عليها دليل صحيح صريح من الشرع، أما ما كان ظاهرًا وليس للاجتهاد فيه مجال فليس مقصودًا بالكلام هنا.

فمن جعل معيار الحق والموالاة موقوفًا على موافقته في آرائه واجتهاداته دون برهان مبين، ومعيار الباطل والمعاداة على من خالفه في آرائه وتوجهاته - كان من أهل الأهواء.

ولذا نجد أصحاب هذه الأهواء قد يوافق بعضهم بعضًا في الباطل كما أنهم قد يذمون من لم يذمه الله ورسوله ﷺ انتصارًا لأهوائهم.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –:

«وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه وأنه على السنة، فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم، وإن كان مجتهدًا معذورًا لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم وإن كان جاهلاً سيئ القصد، ليس له علم ولا حسن قصد فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله»[1].

(١) منهاج السنة، ١/٢٥٥.

ثانيًا: التحامل على المخالف والتشنيع عليه بما يخــرج عــن الحد الشرعي ويوقع في البغي والعدوان، وهذا التحامل والتشنيع قد يكون في أمور مختلقة لا أساس لها من الصحة، لكنها وافقت هوى في نفس المتحامل فأخذ يلوكها ويشيعها. وقد يكون لها أو لبعضها أساس من الصحة لكن زيد فيها أو نُقص منها وفسرت بتفسيرات لم تخطر في بال قائلها أو فاعلها. وقد يحكم عليه بلوازم لا تلزم أو لا يلتزمها. وقد تكون هذه الأمور التي شُنِّع بها صحيحة النسبة لمن قالها أو فعلها لكن له فيها اجتهادًا وهو مستند فيها إلى أدلة ربمــا تكون مساوية لأدلة من خالفه فيها ، وهو في اجتهاده هــذا لــه مندوحة يخرج بها عن موجب التشنيع ويستحق بها العذر، وإن كان هذا لا يعني السكوت وعدم المناقشة والنصيحة للوصول إلى الحــق والتحذير من الخطأ.

وقد تكون تلك الأمور التي شُنِّع به على المخــالف خطؤهــا ظاهر وفاعلها مجانب للصواب وقد يكون مستحقًا للإنكار، لكــن يقع الناقد لها والمشنع على فاعلها في أمور تخرجه عن سمت العــدل والإنصاف، وتوقعه في الظلم والاعتداء وذلك بتجاوزه في النقــد والإنكار إلى حد يغمط فيه كل فضيلة للمخالف ويجحدها، ويتبرأ منه، ويناصبه العداء وقد يكون هذا المخالف من أوليــاء الله، ولــه حسنات تغمر ما حصل منه من خطأ أو زلة عابرة قــد يكــون لم يتقصدها، و لم يرفع بها لواء، و لم يدع إليها، لكن عــين صــاحب الهوى وقعت عليها، فتلقفها وخاض فيها، وعلق عليها الشــروح والحواشي واللوازم التي لم تخطر على بال قائلها وفاعلها فيعتــدي

على المخالف بقوله أو فعله أو كتابته، ويتجاوز في ذمه وبغضـــه. وينسى حكمة الدعوة إلى الله، ويترك سنة النصيحة سرًا، التي هـــي خير للناصح والمنصوح فهي خير للناصح من حيث كونها أدعى إلى الإخلاص والبعد عن الرياء وحظوظ النفس، وهي خير للمنصـــوح من جهة أنها أقرب إلى القبول، وأبعد عن العزة التي تأخذ صاحبها بالإثم وتجعله يجحد ما مع الناصح من الحق ويستكبر عن الاعتراف بالخطأ. وقد حذر شيخ الإسلام – رحمه الله – في معرض ذكـــره لفوائد قوله تعالى: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَـــنْ ضَـــلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥]. حذر من التعدي والتجاوز في عقوبـــة أشخاص مرتكبين لأمور متفق على إنكارها فقال:

«**الرابع**: أن لا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم أو ذمهم أو نهيهم أو هجرهم أو عقوبتهم ... فإن كثيرًا من الآمرين الناهين قد يعتدي حدود الله إما بجهل وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين ..» ثم قال:

«وأنت إذا تأملت ما يقع من الاختلاف بين الأمة وعلمائهـــا وعبادها وأمرائها ورؤسائها وجدت أكثره من هذا الضرب الـــذي هو البغي بتأويل أو بغير تأويل. كما بغت الجهمية على المســـتنة في محنة الصفات والقرآن، محنة أحمد وغيره، وكما بغت الرافضة على المستنة مرات متعددة، وكما بغت الناصبة على علي وأهل بيتـــه، وكما قد تبغي المشبهة على المنزهة، وكما قد يبغي بعض المستنة إما على بعضهم وإما على نوع من المبتدعة بزيادة على ما أمر الله بـــه

وهو الإسراف المذكور في قولهم: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْـرَافَنَا فِي أَمْرِنَا**﴾ [آل عمران: ١٤٧]»[(١)].

وقد تصل الحال بصاحب الهوى إلى أن يرد ما مع المخالف من الحق ويستكبر عن اتباعه والخضوع له، بل قد يفسـر مـا يفعلـه المخالف من الأعمال الصالحة بتفسيرات وتأويلات بعيدة ويحكـم على النيات والمقاصد بأحكام قاطعة.

قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَـاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٩]، وذكر غيرها من الآيـات في هذا المعنى قال:

«فهذه المواضع من القرآن تبين أن المختلفين ما اختلفوا حـتى جاءهم العلم والبينات فاختلفوا للبغي والظلم لا لأجل اشتباه الحق بالباطل عليهم وهذا حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهـواء كلهم لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر لهم الحق ويجيـئهم العلـم، فيبغي بعضهم على بعض. ثم المختلفون المذمومون كل منهم يبغـي على الآخر، فيكذب بما معه من الحق مع علمه أنه حق ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع العلم أنه باطل»[(٢)].

والواجب قبول الحق ممن جاء به كائنًا من كان.

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٤/٤٨١-٤٨٣ باختصار.

(٢) منهاج السنة، ٥/٢٦٤.

ثالثًا: الاضطراب والتناقض في المواقف والآراء والأحكام فصاحب الهوى قد يعيب أمرًا ثم يفعله، وقد ينتقص عملاً أو مشروعًا ، ثم يشيد به ويشارك فيه، وقد يسفه رأيًا لأن قائله فلان من الناس، فإذا قال به شخص يعظمه عاد إلى تمجيد ذلك الرأي الذي سفهه وقد يذم شخصًا ثم يمدحه أو العكس دون مسوغ صحيح لمدحه أو ذمه، فيكون ميزان قبوله ورده للأشياء والأقوال ومدار مواقفه وتوجهاته أهواء النفس فحسب فيقع في اضطراب كبير وتناقض كثير وفساد في الرأي ، ولهذا حذرنا ربنا – سبحانه وتعالى – من طاعة صاحب الهوى لأن أمره لا يؤول إلى رشد وسداد أبدًا، قال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٢٨]، وكما قال الشاعر ابن دريد:

وآفة العقل الهوى فمن علا
على هواه عقله فقد نجا (١)

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –:

«وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه»(٢).

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر، ص١/٨٠٨.
(٢) منهاج السنة، ٥/٢٥٦.

ومن مظاهر التناقض والاضطراب وفســاد المــوازين لــدى صاحب الهوى أن يتحاشى أمورًا ويشدد فيها ثم يفعل ما هو أكبر منها ويتساهل فيها.

وما ذاك إلا لغلبة الجهل واستيلاء الهوى.

قال ابن الجوزي – رحمه الله –: «رأيت كثيرًا مــن النــاس يتحرزون من رشاش نجاسة ولا يتحاشون من الغيبة، ويكثرون من الصدقة ، ولا يبالون بمعاملات الربا، ويتهجدون بالليل ويــؤخرون الفريضة عن الوقت في أشياء يطول عدها من حفظ فروع وتضييع أصول ، فبحثت عن سبب ذلك فوجدته من شيئين: أحدهما: العادة ، والثاني: غلبة الهوى في تحصل المطلوب، فإنه قد يغلب فلا يتــرك سمعًا ولا بصرًا ...»[١].

ويذكرني هذا بموقف الخوارج لما أسروا عبد الله بن خباب – رضي الله عنه – واقتادوه فبينما هم يسيرون لقي بعضهم خنزيــرًا لبعض أهل الذمة فضربه فشق جلده، فأنكروا على صاحبهم حــتى ذهب إلى الذمي فاستحله وأرضاه، وأخذ أحدهم تمرة ساقطة مــن نخلة، فأنكروا عليه حتى ألقاها من فمه، ومع ذلك ذبحوا عبد الله بن خباب – رضي الله عنه – وقتلوا زوجته وبقــروا بطنــها عــن ولدها[٢].

---

(١) صيد الخاطر، ص١٩٣-١٩٤.

(٢) انظر هذه القصة في البداية والنهاية ٧/٢٨٨.

رابعًا: تقصد تتبع السقطات والأخطـــاء في زلات الكلـــم وسبق القلم وفلتات اللسان وعثـــرات الأفكـــار، دون قصـــد النصيحة أو التألم لحصول ذلك في الأمة، وضـــلال أخيـــه عـــن الصواب، بل إن صاحب الهوى قد يفرح بوقوفه على خطأ أخيـــه وقرينه ليتخذ من ذلك ذريعة للحط من قدره والتشهير بعثرتـــه وفي المقابل يحصل له – أي لصاحب الهوى – رفعة وشهرة في ظنه.

وقد لا يفكر في الاعتذار لأخيه أو تلمس المعاذير له أو التلطف في نصحه وبيان عيبه والستر عليه، لأن الدافع له أصلاً ليس الرغبة في الخير وهداية الضال بل لغرض في نفسه من الأهواء والأغـــراض الخسيسة.

ويقرب من هذا المظهر الخامس لاتباع الهوى وهو.

خامسًا: أن ينكر بعض المنكرات وينهى عنها لهوى في نفسه لا لكونه منكرًا فحسب وهذا يظهر من خلال أمور منها:

أن ينكر منكرًا ويقع فيه أو في شر منه، وقـــد ينكـــر أمـــرًا ويتجاوز في إنكاره الحد الشرعي، وقد ينكر أمرًا ويترك أمرًا آخـــر أولى بالإنكار دون مسوغ شرعي بل لمجرد الهوى. وقد ينكر منكرًا لكون الواقع فيه شخصًا لا يحبه ويترك الإنكار إذا وقع فيه من يحبه ، وقد يكون الدافع للإنكار الانتصار للنفس أو للطائفة والمـــذهب والقبيلة أو لحصول الشهرة أو لشجاعة في الطبع دون إخلاص النية لله تعالى.

قال شيخ الإسلام عن صاحب الهوى الذي يغضب ويرضـــى

لهواه: «ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أن الـــذي يرضـــى لـــه ويغضب له أنه السنة ، وهو الحق، وهو الدين، فإذا قدر أن الـــذي معه هو الحق المحض دين الإسلام، و لم يكن قصده أن يكون الـــدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحميـــة لنفســـه وطائفته أو الرياء، ليعظم هو ويثني عليه، أو فعل ذلـــك شـــجاعة وطبعًا، أو لغرض من الدنيا، لم يكن لله و لم يكن مجاهدًا في ســـبيل الله، فكيف إذا كان الذي يدعى الحق والسنة هو كنظيره معه حق وباطل، وسنة وبدعة ، ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة»[١].

وقال في موطن آخر:

«وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعـــدوان فقد يذنب الرجل أو الطائفة ، ويسكت آخرون عن الأمر والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكارًا منـــهيًا عنـــه فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرق والاختلاف والشر. وهذا من أعظم الفتن والشرور قديمًا وحديثًا، إذ الإنسان ظلوم جهـــول. والظلم والجهل أنواع، فيكون ظلم الأول وجهله من نوع، وظلـــم كل من الثاني والثالث وجهلهما من نوع آخر وآخر»[٢].

وقال أيضًا: «فالنفس فيها داعي الظلم لغيرها بـــالعلو عليـــه، والحسد له والتعدي عليه في حقه، وداعي الظلم لنفســـها بتنـــاول الشهوات القبيحة كالزنا وأكل الخبائث فهي قـــد تظلـــم مـــن لا

(١) منهاج السنة، ٥/٢٥٦.

(٢) مجموع الفتاوى، ٢٨/١٤٢.

يظلمها. وتؤثر هذه الشهوات وإن لم تفعلها فإذا رأت نظراءها قد ظلموا وتناولوا هذه الشهوات صار داعي هذه الشهوات أو الظلـــم فيها أعظم بكثير ، وقد تصبر ويهيج ذلك لها من بغض ذلك الغـــير وحسده وطلب عقابه وزوال الخير عنه ما لم يكن فيها قبل ذلك ، ولها حجة عند نفسها من جهة العقل والدين بكون ذلك الغير قـــد ظلم نفسه والمسلمين، وأن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر واجـــب والجهاد على ذلك من الدين.

والناس هنا ثلاثة أقسام:

- **قوم لا يقومون إلا في أهواء نفوسهم**، فلا يرضون إلا بمـــا يعطونه ولا يغضبون إلا لما يحرمونه، فإذا أعطى أحدهم ما يشـــتهيه من الشهوات الحلال والحرام زال غضبه وحصل رضاه، وصار الأمر الذي كان عنده منكرًا – ينهى عنه ويعاقب عليه ويـــذم صـــاحبه ويغضب عليه – مرضيًا عنده، وصار فاعلاً له وشريكًا فيه، ومعاونًا عليه ومعاديًا لمن نهى عنه، وينكر عليه. وهذا غالب في بني آدم يرى الإنسان ويسمع من ذلك ما لا يحصيه، وسببه أن الإنسان ظلـــوم جهول فلذلك لا يعدل، بل ربما كان ظالمًا في الحالين، يرى قومًـــا ينكرون على المتولي ظلمه لرعيته واعتداءه عليهم، فيرضى أولئـــك ببعض الشيء فينقلبون أعوانًا له، وأحسن أحوالهم أن يسكتوا عـــن الإنكار عليه..

- **وقوم يقومون ديانة صحيحة**: يكونون في ذلك مخلصين لله مصلحين فيما عملوه، ويستقيم لهم ذلك حتى يصبروا علـــى مـــا أوذوا...

- **وقوم يجتمع فيهم هذا وهذا**، وهم غالب المؤمنين فمن فيه دين وله شهوة تجتمع في قلوبهم إرادة الطاعة وإرادة المعصية وربمـا غلب هذا تارة وهذا تارة»[(١)].

وذكر شيخ الإسلام: أن الأقوال والأفعال يجب أن يراد بهـا وجه الله وأن تكون موافقة للشريعة ثم قال:

«ويحتاج أيضًا أن يؤمر بذلك لأمر الله وينهى عنه لنـهي الله ويخبر بما أخبر الله به لأنه حق وإيمان وهدى كما أخبرت به الرسل، كما تحتاج العبادة أن يقصد بها وجه الله، فإذا قيل ذلـك لاتبـاع الهوى، والحمية، أو لإظهار العلم والفضـيلة أو لطلـب السـمعة والرياء، كان بمنزلة المقاتل شجاعة وحميَّة ورياء، ومن هنا يتبين لك ما وقع فيه كثير من أهل العلم والمقال وأهل العبادة والحال، فكثيرًا ما يقول هؤلاء من الأقوال ما هو خلاف الكتاب والسنة ووفاقها. وكثيرًا ما يتعبد هؤلاء بعبادات لم يأمر الله بها بل قد نهى عنها أو ما يتضمن مشروعًا محظورًا وكثيرًا ما يقاتل هؤلاء قتالاً مخالفًا للقتـال المأمور به أو متضمنًا لمأمور محظور.

ثم كل من الأقسام الثلاثة المأمور والمحظور والمشـتمل علـى الأمرين قد يكون لصاحبه نية حسنة وقد يكون متبعًا لهـواه وقـد يجتمع له هذا وهذا»[(٢)].

ويدخل في هذا المظهر من يتقصى في ذكر عيـوب وأخطـاء

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٤٦/٢٨-١٤٨ باختصار.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٧٢/٢٨-١٧٣.

بعض إخوانه من المسلمين في بعض المجالس سواء كان ذلك يحتاج إليه أو لا يحتاج إليه. ويذكر ذلك لمن في معرفته مصلحة ولمـــن لا مصلحة في علمه بذلك، حتى صارت مجالس هؤلاء موائد يـــأكلون عليها أعراض ولحوم المسلمين من غير أن يجدوا في أنفسهم حرجًـــا مما يقولون، بل ربما اختلقوا لذلك مسوغات شرعية — في زعمهـــم — فضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

سادسًا: المبالغة في المدح أو الذم، فإذا أحب طائفة أو شخصًا غلا في حبه وتجاوز في مدحه حتى يثني عليه بما ليس فيه، بل تعـــود مَسَاوِئُه محاسنَ في نظر الهاوي ويجعله في مقام العصمة أو قريبًا منها، ولا يتقبل أي قدح فيه ولا بيان أي خطأ حصل منـــه وإن كـــان ظاهرًا ظهور الشمس في رابعة النهار ويبدأ يتأول أقوالـــه ويفســـر أفعاله بما لا يدل عليه سياق الكلام ولا ظاهر الحال فلا يكون حبه لمن أحب خالصًا لله، ولا تكون متابعته لمن تابعـــه لمعرفـــة الحـــق وسلوكه بل لهوى في نفسه. وفي المقابل فإن صـــاحب الهـــوى إذا أبغض جماعة أو مذهبًا أو أهل بلد أو شخصًا فإنه يبغي في بغضـــه ويقذع ويتعدى في ذمه بالاستطالة في قوله أو فعله حتى ربما ينسى أو يتناسى كل خير وفضيلة لمن أبغضه بل ربمـــا عـــادت محاســـنه مساوئَ في نظر صاحب الهوى ويرد ما معه من الحق. فيخرج عن حد الشرع في ذلك وتختل عنده الموازين حتى ربما يحـــب المـــذموم ويكره المحمود شرعًا، ويخرج عن الصراط المستقيم ومنـــهج أهـــل العدل والإيمان.

وهذا الأمر ظاهر جدًا يرى الإنسان ويقرأ ويسمع عنه كثيرًا.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –:

«وأمام من أحب شخصًا لهواه، مثل أن يحبه لدنيا يصيبها منه أو لحاجة يقوم لها بها، أو لمال يتأكله به، أو بعصبية فيه، ونحو ذلك من الأشياء فهذه ليست محبة لله، بل هذه محبة لهوى النفس، وهذه المحبة هي التي توقع أصحابها في الكفر والفسوق والعصـــيان، ومـــا أكثر من يدعي حب مشايخ لله، ولو كان يحبـــهم لله لأطـــاع الله الذي أحبهم لأجله، فإن المحبوب لأجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة ذلك الغير وكيف يحب شخصًا لله من لا يكون محبًا لله، وكيـــف يكون محبًا لله من يكون معرضًا عن رسول الله ﷺ، وسبيل الله.

وما أكثر من يحب شيوخًا أو ملوكًا أو غيرهم فيتخذهم أندادًا يحبهم كحب الله»[1].

وقال الحافظ ابن رجب: «وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرســـل والأنبيـــاء والصـــديقين والشهداء والصالحين عمومًا ... ومن كان حبه وبغضه وعطـــاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصًا في إيمانه الواجب، فيجب عليـــه التوبة من ذلك، والرجوع إلى اتباع ما جاء به الرسول ﷺ من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله علـــى هـــوى الـــنفس ومراداتها كلها»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى، ٥٢١/١١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ٢٢٦/٣.

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –:

«من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهيته بحسب محبة نفسه وبغضها لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله وهذا من نوع الهوى، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه **﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾** [القصص: ٥٠]. فإن أصل الهوى محبة النفس ويتبع ذلك بغضها.

فالواجب على العبد أن ينظر في نفس حبه وبغضه ومقدار حبه وبغضه هل هو موافق لأمر الله ورسوله؟ وهو هدى الله الذي أنزله على رسوله، بحيث يكون مأمورًا بذلك الحب والبغض لا يكون متقدمًا فيه بين يدي الله ورسوله فإنه قد قال: **﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** [الحجرات: ١]. ومن أحب أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله ففيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله، ومجرد الحب والبغض هوى، لكن المحرم اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله»[(١)].

وكذلك ينبغي على المسلم أن ينظر فيما يصدر عمن يحبه من أقوال وأعمال هل هي صحيحة ومشروعة أم أنها باطلة وصادرة عن هوى النفس، فإن أهواء النفوس لا يكاد ينجو منها أحد سواء من الصالحين أو الفاسقين.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – «ومما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة ، أهل البيت وغيرهم ، قد يحصل منه نوع

(١) مجموع الفتاوى، ١٣١/٢٨-١٣٤ باختصار.

من الاجتهاد مقرونًا بالظن ونوع من الهوى الخفى [1]. فيحصـــل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه ، وإن كان من أولياء الله المتقين.

ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين: طائفة تعظمـــه فتزيـــد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه، وطائفة تذمه فتجعل ذلك قادحًا في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه من أهل الجنة بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان، وكلا هذين الطرفين فاسد. والخوارج والروافض وغيرهم من أهل الأهواء دخل عليهم الداخل من هذا ، ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه وأعطى الحق حقه، فيُعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم ويثاب ويعاقب ويحب من وجـــه ويبغض من وجه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعـــة خلافًـــا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم»[2].

سابعًا: ومن مظاهر اتباع الهوى قلـــة ونـــدرة الاستشـــهاد بنصوص الشرع المحكمة الواضحة ، وإذا استشهد بهـــا صـــاحب الهوى على ما يريد فلا يستشهد بها على معناها الصحيح بل يضعها في غيرها موضعها، فأهل الأهواء يتتبعون المتشابه ويدعون المحكـــم. ويستشهدون بحوادث الأعيان ويدعون القواعد والأصول والأركان ، كحال الذين في قلوبهم زيغ أو في قلوبهم مرض. قال تعالى: ﴿هُوَ

(١) هذا راجع إلى أصل أهل السنة والجماعة في أنه لا أحد معصوم بعد الرسول ﷺ، لا الصحابة – رضي الله عنهم – ولا غيرهم ، خلافًا للرافضة القائلين بعصمة الأئمة الاثني عشر ، وغلاة الصوفية في غلوهم في شيوخهم.

(٢) منهاج السنة، ٥٤٣/٤-٥٤٤.

الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَــاب وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]. وفي الحديث عـــن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ، تلا هـــذه الآيـــة ثم قال: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمـــى الله فاحذروهم**»(١).

فصاحب الهوى يتتبع المتشابه(٢) ويقرأ نصـــوص الشـــرع لا ليستفيد منها حقًا ومنهجًا يقوم به فكره وتصوره ، بل ليأخذ منها ما يرى أن فيه حجة له أو ردًا على من خالفه ولذا روى ابن بطـــة بسنده عن أيوب قال: «لا أعلم أحدًا من أهل الأهواء يخاصـــم إلا بالمتشابه» ومن ذلك ما جاء أن واصل بن عطاء رأس المعتزلة كان يصلي في الليل ، ولوح ودواة موضوعان فإذا مرت به آيـــة فيهـــا حجة على مخالف ، جلس فكتبها ثم عاد إلى صلاته(٣).

وكما يتبع صاحب الهوى المتشابه من النصوص الشرعية فإنه يتبع – أيضًا – المتشابه من كلام العلماء وعباراتهم ويدع ما يبينـــه من محكم كلامهم.

وصاحب الهوى يكره سماع وقراءة النصوص الشرعية المخالفة لما هو عليه كما ذكر ذلك غير واحد من السلف عن بعض أهـــل

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب تفسير القرآن، سورة آل عمران، ١٦٦/٥.ومسلم في كتاب العلم رقم ١، ٢٠٥٣/٤.

(٢) الإبانة لابن بطة ، ٥٠١/٢.

(٣) انظر المنية والأمل لابن المرتضى، ص١٤١.

البدع ، ومن المعلوم أنه لا يلزم أن يقف كل صاحب هـــوى مـــن النصوص الشرعية موقف هؤلاء المبتدعة، فهذا أمر يتفاوت فيه أهل الأهواء بحسب غلوهم في اتباع أهوائهم لكن يجمعهم على الأقـــل استثقال سماع تلك النصوص المخالفة لمنهجهم وعقيدتهم، والتـــبرم بها، والحرج عند سماعها وإسماعها.

وما ذاك إلا لأن أهل الأهواء يأخذون ببعض النصـــوص دون بعض يأخذون منها ما يوافق أهـــواءهم ويـــردون مـــا يخـــالفهم بالتأويلات الفاسدة والتحريفات الظاهرة.

فتجد صاحب الهوى ينادي بالتمســـك بالشـــرع والتأســـي بالرسول ﷺ في الأمور الموافقة لهواه أو التي له فيها مصلحة وله فيها حق يريد أن يستخرجه، أما ما كان مخالفًا لهواه أو ما كان فيه بيان لحقوق غيره عليه ونحو ذلك ، فإنه يصد ويعرض ويتغافل عن تحكيم الشرع أو يرده ردًّا صريحًا أو غير صريح، وهؤلاء لهم نصيب مـــن الذم المذكور في قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ آمَنَّا باللَّهِ وَبالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِـــالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُـــونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُـــوبِهِمْ مَـــرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُـــمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُـــولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُـــونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [النور: ٤٧-٥٢].

ثامنًا: ومن المظاهر أيضًا الكراهية للناصحين من أهل الإيمان والتقوى وأهل العدل والإنصاف المتبعين للسنة ومنهج السلف قولاً وفعلاً واعتقادًا ومنهجًا. فالمتبع لهواه يجد في هؤلاء تقويمًا لقوله وفعله، وصدًا له عن هواه، ونطقًا بالحجة والبرهان الذي يسكته وهذا ما لا يعجبه ولا يرتضيه، إذ إن من سمات أهل الأهواء حبهم لمن يمدحهم ولو بالباطل وبغضهم لمن ينصحهم وينكر عليهم أهواءهم قال تعالى: ﴿**وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**﴾ [الأعراف: ٧٩]. بل ربما اتهموا من ينصحهم ويبين لهم عيوبهم بأنه متبع لهواه ومريد للفتنة وسيئ القصد والإرادة ... وقد يكون منطق بعضهم مشابهًا لمنطق فرعون حين قال في موسى عليه الصلاة والسلام ما حكاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿**إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ [غافر: ٢٦]، ومشابهًا لموقف من قالوا لرسلهم: ﴿**لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ [إبراهيم: ١٣].

تاسعًا: ومن مظاهر اتباع الهوى كثرة التفرق والاختلاف وتعدد الطوائف والأحزاب وتناحرها ، وطعن كل فريق في الآخر والزعم بأن الحق كله معه والباطل كله مع من خالفه ونحو ذلك.

فهذا كله لا شك أنه ليس من دين الإسلام في شيء قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ١٥٩]. وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**

الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَـــا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَـــا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَـــيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ * هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ١٦-٢٠].

قال شيخ الإسلام بعد أن ذكر هذه الآيات الأخيرات وغيرها «فهذه المواضع من القرآن تبين أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبينات، فاختلفوا للبغي والظلم، لا لأجـــل اشـــتباه الحـــق بالباطل عليهم، وهذا حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم، لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر لهم الحق ويجيئهم العلـــم، فيبغي بعضهم على بعض ...»(١).

وقال الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله:

«ومن نظر في كثير من الخلافات بين الجماعات والأفراد سواء كان ذلك في مسائل العلم أو في مجال التوجيه والعمل وجد ظاهرها في طلب العدل والإنصاف، أو الصواب وترك الانحراف، وحقيقتها حب عبادة النفس واتباع الهوى أو أغراض سيئة دنيئة»(٢).

فهذه التحزبات والانتسابات التي يكون عليها مدار ومعقـــد

---

(١) منهاج السنة، ٥/٢٦٤.

(٢) الهوى وأثره في الخلاف، للشيخ عبد الله الغنيمان، ص٢٠-٢١.

الولاء والبراء والتي يحصل بسببها التفرق والشحناء وظهور العداوة والبغضاء بين المسلمين هي من طرق أهل الأهواء والابتداع لا من منهج أهل السنة والاتباع.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –

«فأما الانتساب الذي يفرق بين المسلمين وفيه خــروج عــن الجماعة والائتلاف إلى الفرقة، وسلوك طريق الابتــداع ومفارقــة السنة والاتباع، فهذا مما ينهى عنه، ويأثم فاعله ويخرج بذلك عــن طاعة الله ورسوله ﷺ»(١).

ولا يدخل في هذا من يجتمعون على التعاون على البر والتقوى ويوالون جميع المؤمنين بحسب ما فيهم من الطاعة سواء كــانوا في جماعتهم أم لا، ويعادون من كان فيه سبب العداوة بحسب ما فيــه من المعصية سواء كان في جماعتهم أم لا.

عاشرًا: في الأخذ ببعض المسائل العلمية وترجيحها، لا يكون رائد صاحب الهوى الحق ومعرفة الدليل الصحيح والدلالة الصريحة بل يتبنى بعض المسائل ويرجح بعض الأمور لهوى في نفســه إمــا موافقة لشيخه أو مخالفة لقرينه ومنازعه أو لكونه رأيًــا جديــدًا أو غريبًا أو لغرض دنيوي، وقد يكون هواه في الأخذ بالأسهل وتتبــع الرخص وقد يكون هواه في الأخذ بالأشد وإن كان مرجوحًا ودون مراعاة لمصالح شرعية.

---

(١) مجموع الفتاوى، ١١، ٥١٤.

وقد وقفت على كلام نفيس طويل للشيخ عبد الرحمن المعلمي – رحمه الله – تكلم فيه عن غلبة الهوى على كثير من النفوس ودقة مداخله، وضرب لذلك أمثالاً تصوره وتقربه ومما جاء فيه قوله:

«افرض أنك قرأت آية فلاح لك منها موافقة قول لإمامك وقرأت أخرى فلاح لك منها مخالفة قول أخر له، أيكون نظرك إليهما سواء لا تبالي أن يتبين منهما بعد التدبر صحة ما لاح لك، أو عدم صحته؟

افرض أنك وقفت على حديثين لا تعرف صحتهما ولا ضعفهما أحدهما يوافق قولاً لإمامك والآخر يخالفه، أيكون نظرك فيهما سواء، لا تبالي أن يصح سند كل منهما أو يضعف؟

افرض أن رجلاً تحبه وأخر تبغضه تنازعًا في قضية فاستفتيت فيها ولا تستحضر حكمها، وتريد أن تنظر، ألا يكون هواك في موافقة الذي تحبه؟

افرض أنك وعالمًا تحبه وأخر تكرهه أفتى كل منكم في قضية واطلعت على فتويي صاحبيك فرأيتهما صوابًا ، ثم بلغك أن عالمًا أخر اعترض على واحدة من تلك الفتاوى وشدد النكير عليها ، أتكون حالك واحدة سواء كانت هي فتواك أم فتوى صديقك أم فتوى مكروهك؟

افرض أنك تعلم من رجل منكرًا وتعذر نفسك في عدم الإنكار عليه ثم بلغك أن عالمًا أنكر عليه وشدد النكير، أيكون استحسانك لذلك سواء فيما إذا كان المنكر صديقك أم عدوك،

والمنكر عليه صديقك أم عدوك؟ فتش نفسك تجدك مبتلى بمعصـــية أو نقص في الدين، وتجد من تبغضه مبتلى بمعصية أو نقص أخر ليس في الشرع بأشد مما أنت مبتلى به؟ فهل تجد استشناعك ما هو عليه مساويًا لاستشناعك ما أنت عليه، وتجد مقتك نفســـك مســـاويًا لمقتك إياه؟

وبالجملة فمسالك الهوى أكثر من أن تحصى وقد جربت نفسي أنني ربما أنظر في القضية زاعمًا أنه لا هوى لي فيلوح لي فيها معنى، فأقرره تقريرًا يعجبني، ثم يلوح لي ما يخدش في ذاك المعنى، فأجدني أتبرم بذلك الخادش وتنازعني نفسي إلى تكلف الجواب عنه وغض النظر عن مناقشة ذاك الجواب؛ وإنما هذا لأني لما قررت ذاك المعـــنى أولاً تقريرًا أعجبني صرت أهوى صحته، هذا مع أنه لم يعلم بذلك أحد من الناس، فكيف إذا كنت قد أذعتـــه في النـــاس ثم لاح لي الخدش؟ فكيف لو لم يلح لي الخدش ولكن رجلاً آخر اعترض علي به؟ فكيف لو كان المعترض ممن أكرهه.

والعالم قد يقصر في الاحتراس من هواه ويسامح نفسه فتميـــل إلى الباطل فينصره، وهو يتوهم أنه لم يخرج من الحـــق ولم يعـــاده وهذا لا يكاد ينجو منه إلا المعصوم، وإنما يتفاوت العلماء، فمنـــهم من يكثر منه الاسترسال مع هواه، ويفحش حتى يقطع من لا يعرف طباع الناس ومقدار تأثير الهوى بأنه متعمد، ومنهم من يقل ذلـــك منه ويخف، ومن تتبع كتب المؤلفين الذين لم يسندوا اجتهادهم إلى الكتاب والسنة رأسًا رأى فيها العجب العجاب، ولكنه لا يتبين له ذلك إلا في المواضع التي لا يكون له فيها هوى. أو يكـــون هـــواه

مخالفًا لما في تلك الكتب على أنه إذا استرسل مع هـــواه زعـــم أن موافقيه براء من الهوى، وأن مخالفيه كلهم متبعون للهوى»[1].

حادي عشر: الجدل بالباطل وعدم الاعتراف بالخطأ ومحاولة إيجاد الأعذار الوهمية والكاذبة للـــنفس والتســـويغ للتقصـــير، واستبدال المناقشة الهادئة المبنية على الأدلة والبراهين وتفهم الـــرأي الآخر، استبدال ذلك برفع الأصوات وتسفيه وتحقير الطرف الآخر والتعالم عليه، ومن استحكم في نفسه اتباع الهوى قد يعلم في قرارة نفسه أن الحق مع خصمه ، وأنه في جدله هذا إنما يحـــاول إلبـــاس نفسه ألبسة الزور وذر الرماد في العيون والظهور بمظهر العصمة من الخطأ، وادعاء الصواب والرشد في كل أقوالـــه وأفعالـــه بـــل وفي توقعاته وظنونه ، فهذه كلها دليل على أن صاحبها متبـــع لهـــواه معجب بقوله غير مخلص في مجادلته.

ومن أخطر الأمور أن يضفي على باطله صـــفة الحـــق، وأن يستدل لأخطائه وتقصيره بما لا يدل على ذلـــك مـــن النصـــوص الشرعية ويضعها في غير موضعها.

ومما ذكره إمام الحرمين الجويني في آداب الجدل قال:

«فأول شيء فيه مما على الناظر أن يقصـــد التقـــرب إلى الله سبحانه وطلب مرضاته في امتثال أمره – سبحانه – فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى الحق عـــن الباطـــل، وعما يخبر فيه، ويبالغ قدر طاقته في البيان والكشف عن تحقيق الحق

(١) القائد إلى تصحيح العقائد ضمن التنكيل ٢/١٩٦-١٩٨ باختصار.

وتمحيق الباطل ، ويتقي الله أن يقصد بنظره المباهاة وطلب الجـــاه والتكسب والمماراة والمحك والرياء ويحذر أليم عقاب الله – سبحانه – ولا يكن قصده الظفر بالخصم والسرور بالغلبة والقهر فإن مـــن دأب الأنعام الفحولة كالكباش والديكة»[1].

فصاحب الهوى معجب برأيه ولذا تجده ينفذ ويمضي كل مـــا يخطر بباله وما تهواه نفسه دون أن يسترشد بـــآراء الآخـــرين أو يستشيرهم. وإن استشار فإنما يستشير من يغلب على ظنه أنه يوافقه في هواه، أو يستشير في أشياء تافهة ليست ذات بال.

ثاني عشر: التقصير في محاسبة النفس ورؤيتها بعين الكمـــال والاعتذار لها عن تسويفها وتقصيرها واتباعها هواها ، والإســـراف في المباحـــات والتقصـــير في المنـــدوبات وغشـــيان المكروهـــات والمشتبهات، وعدم أخذ النفس بالعزائم والاحتياطات وعدم تطلعها إلى مقامات الورع والتسابق والمنافسة في الخيرات.

فكل هذه علامات على أن صاحبها واقع في أسر شيء مـــن الهوى .

قال ابن الجوزي – رحمه الله –.

«وقد كان أهل الحزم يعودون أنفسهم مخالفة هواها وإن كان مباحًا، ليقع التمرين للنفس على ترك الهوى مطلقًا وليطلب الأرباح في المعاملة بترك المباح»[2].

(١) الكافية في الجدل، ص٥٢٩.

(٢) ذم الهوى، ص٥٤.

ثالث عشر: الخمول والكسل والدعــة والخلــود للراحــة والبطالة وتوهم كثرة الانشغال وعدم التطلع لمعالي الأمــور بــل يهون من شأن من يسعى لذلك ويعيب عليه، ويكون داعية تخذيل وتحقير ويشهد لهذا ما روى في الحديث: «**الكيس من دان نفســه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**»[1].

رابع عشر: اختراع العيوب والعراقيل أمام الأعمال التي لا هواها نفسه، فقد يصور أمرًا ما بصورة المستحيل ويوهم وجــود العقبات والصعوبات أمام القيام به وفعله. لكن لو وافق هذا الأمــر هوى في نفسه فإن كل ما صوره من العقبات والصعوبات يتلاشى ويزول ويذهب أدراج الرياح وتجد هذا الهاوي يقوم بهذا العمل خير قيام متناسبًا أوهامه وأهواءه السابقة وقد يقلل صاحب الهوى مــن شأن عمل ما لأنه لا يرغب فيه أو لا هواه نفسه أو لأنه يكلفــه، رغم قناعته الداخلية بأهميته وثمرته وجدواه لكنك تجده في وقت أو موقف آخر ينتصر لهذا العمل نفسه ويعلي من شأنه ويحاول إقنــاع الناس به ويسفه من ينتقصه وما ذاك إلا لأنه وافق هوى في نفسه أو وجد مصلحة شخصية من ورائه دون وزن مواقفه هــذه بميــزان الشرع.

---

(١) الحديث رواه أحمد في المسند ١٢٤/٤، وابن ماجة في الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ١٤٢٣/٢، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، ١٦٧/٤.

خامس عشر: الغموض وعدم الوضوح أو الإفصاح عن حقيقة أهدافه ومقاصده التي حملته على قول ما قال أو فعل ما فعل أو ترك ما ترك، وإذا سئل عن ذلك حاد عن الجواب لأنه ليس لديه جواب مقنع، وقد يجيب ويعلل لموقفه بما لا يدل على حقيقة فعله أو تركه ولذا فإن صاحب الهوى يكون متصفًا بلي لسانه وإعراضه عن قول الحق والشهادة به، وقد قال تعالى: ﴿**فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء: ١٣٥].

سادس عشر: إن صاحب الهوى «لا يرى إلا الهوى»[١] كما قاله ابن الجوزي – رحمه الله – فكما أنه يعمل ما يعمل لهواه، فإنه في الوقت نفسه يفسر كثيرًا من أعمال الناس أو أكثر ما يصدر منهم بالهوى، فإذا تكلم شخص نسبه للهوى وإذا سكت فكذلك، وإذا زاره شخص زعم أنه إنما زاره لغرض ولمصلحة ، وإذا تركه شخص اتهمه بالهوى وإذا أحسن إليه أحد زعم أنه غير مخلص وهكذا لا يكاد يسلم منه أحد وكما قيل:«كل إناء بما فيه ينضح» وما ذاك إلا لأنه ينظر بمنظار الهوى فلا يرى إلا الهوى.

***

(١) ذم الهوى، ص١٤.

خطر اتباع الهوى وآثاره السيئة

لاتباع الهوى أضرار كثيرة وآثار سيئة يمكن إيجازها فيما يلي:

الأول: أنه سبب لفساد الأمور، قال تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ**﴾ [المؤمنون: ٧١].

الثاني: أنه سبب الضلال عن الهدى والهوان في الدنيا، قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٦].

الثالث: أنه سبب فساد الرأي والفكر والوقوع في التناقض.
ولهذا حذرنا – سبحانه وتعالى – من طاعة صاحب الهوى لأنه يتكلم بغير هدى ويقع في الغفلة والعمى. قال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٢٨] ولأنه لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما وافق هواه ولهذا ورد في الحديث الذي رواه حذيفة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والأخر أسود مُربادًّا**

كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه»(١).

الرابع: أنه سبب التفرق والاختلاف وكثرة الشقاق والنزاع
يقول الإمام ابن بطة:

«أعاذنا الله وإياكم من الآراء المخترعــة والأهــواء المتبعــة والمذاهب المبتدعة، فإن أهلها خرجوا عن اجتماع إلى شتات وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن ائتلاف إلى اختلاف، وعن محبة إلى بغضة، وعن نصيحة ومــوالاة إلى غــش ومعــاداة، وعصمنا وإياكم من الانتماء إلى كــل اســم خــالف الإســلام والسنة»(٢).

الخامس: أنه موجب للعقوبة من الله لأنه يؤدي بصــاحبه إلى تزيين الباطل والزهد في الحق وتأليه الهوى فيطبع على قلبه ويخــتم على سمعه، ويجعل على بصره غشاوة، قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْــتَ مَــنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِــهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية: ٢٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ**﴾ [القصص: ٥٠].

السادس: أنه يورث الكبر والعجب فيزري بصــاحبه أمــام الآخرين، لا سيما أهل الصدق والعدل، ويكون مستثقلاً عنــدهم

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، برقم ٢٣١، ١/١٢٨-١٢٩.
(٢) الإبانة لابن بطة، ١/٣٨٨-٣٨٩.

ممقوتًا في نفوسهم لما يرونه فيه من المخالفة للحق والتكبر عن اتباعه وإعجاب صاحبه برأيه وهواه.

السابع: أن يصد عن قبول الحق واتباعه، ويزين الباطل ويقلبه في صورة الحق، بل ربما صار صاحبه منافحًا عن الباطـــل مضـــادًا للصواب من حيث يشعر أو لا يشعر.

وقد سبق ذكر **قول علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –:** «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: طول الأمل، واتباع الهـــوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق».

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –:

«وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعلـــه طاعـــة لله»[1].

الثامن: أنه سبب في ظلم العبد لنفسه ولغيره، فيظلم نفســـه بارتكابه ما حرم الله وإعراضه عما أمر الله به، ويظلم غيره بـــالبغي والعدوان في أقواله وأفعاله.

التاسع: أنه يضعف الإرادة والعزيمة ويخذل عن طلب المعالي، ويجعل صاحبه في عداد أهل الجهل والخذلان ويحجبه عن منازل أهل الشرف والعرفان.

العاشر: أنه سبب في البعد عن السنة والنطق بالبدعة ولـــذا يقول أبو عثمان النيسابوري ... من أمر السنة على نفســـه قـــولاً

(١) مجموع الفتاوى، ٢٠٧/٢٨.

وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطـــق بالبدعة؛ لأن الله يقول: ﴿**وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾ [النور: ٥٤][(١)].

الحادي عشر: أنه سبب للهموم والأحـــزان يقـــول شـــيخ الإسلام رحمه الله: «من اتبع هواه في مثل طلب الرئاســـة والعلـــو، وتعلقه بالصور الجميلة، أو جمعه للمال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والأحزان والآلام وضيق الصدر ما لا يعبر عنه وربمـــا لا يطاوعه قلبه على ترك الهوى، ولا يحصل له ما يسره، بل هـــو في خوف وحزن دائمًا: إن كان طالبًا لما يهواه فهو قبل إدراكه حزين متألم حيث لم يحصل، فإذا أدركه كان خائفًا من زواله وفراقه»[(٢)].

***

(١) مجموع الفتاوى، ٥٨٦/١١.
(٢) مجموع الفتاوى ٦٥١/١٠.

علاج اتباع الهوى

وبعد هذه الجولة مع مظاهر اتباع الهوى، وبعد الإشـــارة إلى شيء من مخاطره وأضراره، فإن المسلم الصادق المنصف من نفســـه يدرك أنه واقع في شيء من تلك الأهواء إن قليلاً أو كثيرًا.

والحق أن هوى النفس لا يكاد ينجو منه أحد، وهذه الأهـــواء ما دامت حديث نفس فإن صاحبها لا يلام عليها، لكن إن اتبعهـــا وأظهرها قولاً أو فعلاً فإنه يلام على ذلك.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –:

ونفس الهوى – وهو الحب والبغض الذي في النفس – لا يلام عليه فإن ذلك قد لا يملك، وإنما يلام على اتباعه كما قال تعـــالى: **﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** [ص: ٢٦]. وقال تعالى: **﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾** [القصص: ٥٠]. وقال النبي ﷺ: «**ثلاث منجيات: خشية الله في الســـر والعلانيـــة والقصد في الفقر والغنى، وكلمة الحـــق في الغضـــب والرضـــا. وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبـــع، وإعجـــاب المـــرء بنفسه**»(١)(٢).

ويشهد لعدم اللوم على حديث النفس قوله ﷺ: «**إن الله تجاوز**

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص١٤.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٣٢/٢٨.

عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم»[(١)].

فمنع ورود الهوى على النفس أمر محال، وإنما يكلف الإنسان بالاحتراز منه وعدم اتباعه.

يقول الشيخ عبد الرحمن المعلمي:

«ولم يكلف العالم بأنه لا يكون له هوى، فإن هذا خارج عن الوسع وإنما الواجب على العالم أن يفتش نفسه عن هواها حتى يعرفه ثم يحترز منه، ويمعن النظر في الحق من حيث هو حق، فإن بان له أنه مخالف لهواه آثر الحق على هواه ...»[(٢)].

وفي الحقيقة فإن كف النفس عن هواها دليل على القوة والحزم، والعكس بالعكس ويمكن أن يمثل لذلك بحال من يغضب فيكظم غيظه ويمنع جوارحه عن التعدي بالقول أو الفعل، ويعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، وغير ذلك مما تضافرت النصوص بمدح فاعله كما قال تعالى: **﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** [آل عمران: ١٣٤]. وقال تعالى: **﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾** [الشورى: ٤٣]. وقال سبحانه وتعالى: **﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾** [البقرة: ٢٣٧]. وقال ﷺ: «**ليس الشديد بالصُّرَعة إنما**

(١) رواه البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق ٦/١٦٩، ومسلم في كتاب الإيمان برقم ٢٠٢، ١/١١٧.

(٢) القائد إلى تصحيح العقائد ضمن التنكيل ٢/١٩٨.

الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[١] وغـــير ذلـــك مـــن النصوص المعلومة الدالة على هذا المعنى.

ولا شك أن مغالبة الهوى ومجاهدته أمر صعب على النفـــوس، كما **قال أبو العتاهية:**

أشـــد الجهـــاد جهـــاد الهـــوى
ومـــا كـــرَّم المـــرء إلا التقـــى
وأخلاق ذي الفضـــل معروفـــة
ببذل الجميل وكـــف الأذى [٢]

ولذا كان الخوف من الله ومنع النفس عـــن هواهـــا موجبًـــا لدخول الجنة، كما قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّـــهِ وَنَهَـــى الـــنَّفْسَ عَـــنِ الْهَـــوَى * فَـــإِنَّ الْجَنَّـــةَ هِـــيَ الْمَـــأْوَى**﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]. وصار جهاد الهوى أفضل الجهاد، كما قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه**»[٣]. وما ذاك إلا لأنه إذا تغلب على هواه عمل الطاعـــات واجتنـــب المحرمات، بخلاف ما لو كان إلهه هواه.

وعلى كل حال فإذا داوم الإنسان على مجاهدة نفسه ومغالبـــة هواه ومخالفته شعر بلذة وأحس بعزة ونطق بالحكمة. وقـــد قـــال بعض الحكماء: «**أعز العز الامتناع من ملك الهوى**» وقال بعـــض

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، برقم ١٠٧، ٢٠١٤/٤.
(٢) ديوان أبي العتاهية ص/٢٠.
(٣) الحديث سبق تخريجه، ص١٤.

البلغاء: «**خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه وعصى هــواه في طاعة ربه**». وقال بعض الأدباء: «**من أمات شهوته فقــد أحيــا مروءته**» وقيل لبعض الحكماء: «**من أشجع النــاس وأحــراهم بالظفر في مجاهدته؟** قال: **من جاهد الهوى طاعة لربه واحترس في مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه**»(١).

وقال سفيان الثوري: «**أشجع الناس أشــدهم مــن الهــوى امتناعًا**»(٢).

وقيل ليحيى بن معاذ: **من أصح الناس عزمًا؟** قال: **الغالــب لهواه.**

وقال بعض العباد: **أشرف العلماء من هرب بدينه من الدنيا واستصعب قيادُه على الهوى.**

وقال معاوية:« **المروءة ترك اللذة وعصيان الهوى**».

وقال بشر الحافي: «**من جعل شهوات الدنيا تحت قدميه فرق الشيطان من ظله. ومن غلب علمه هواه فهو الصابر الغالــب، واعلم أن البلاء كله في هواك والشفاء كله في مخالفتك إياه**»(٣).

والمقصود: أن جهاد الهوى صعب لكن في قهره لــذة وعــزة تحدو الإنسان إلى الاستمرار في مغالبة هواه وتسهلها عليه متى مــا

---

(١) انظر هذه الحكم والأقوال في منهاج اليقين شرح كتاب أدب الدنيا والدين، ج٤٠، ديوان أبي العتاهية، ص٢٠.

(٢) بهجة المجالس، لابن عبد البر، ٨٠٨/١.

(٣) انظر هذه الأقوال وغيرها في ذم الهوى لابن الجوزي، ص٢٢-٣٢.

أخلص النية وصدق الطوية.

ويمكن أن يقال – على جهة العموم – بأن علاج الهوى هـــو في مجانبة الهوى والابتعاد عن التلبس بشيء من مظـــاهره الســـابقة ويعين على ذلك معرفة أضراره وأخطاره.

وأما على جهة التفصيل فإن علاج الهوى يكون بأمور منها:

أولاً : خشية الله ومراقبته في القول والعمل وفي السر والعلن وتحري الصدق والعدل والقسط مع الأقـــربين والأبعـــدين ومـــع الموافقين والمخالفين مع الأصدقاء والأعداء. كما قال تعالى: ﴿**يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَـوْ عَلَـى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَـى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّـهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء: ١٣٥].

قال الحافظ ابن كثير: على هذه الآية:

«يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط أي العدل فلا يعدلوا عنه يمينًا ولا شمالاً، ولا تأخذهم في الله لومة لائـــم ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضـــدين متناصرين فيه، وقوله: ﴿**شُهَدَاءَ لِلَّهِ**﴾ كما قال: ﴿**وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ**﴾ أي أدوها ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقًـــا خالية من التحريف والتبديل والكتمان، ولهذا قال: ﴿**وَلَـوْ عَلَـى أَنْفُسِكُمْ**﴾ أي اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك، وإذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ولو عادت مضرته عليك، فإن الله سيجعل لمـــن

أطاعه فرجًا ومخرجًا من كل أمر يضيق عليه. وقوله: ﴿**أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ**﴾ أي وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك فلا تراعهم فيها بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم، فإن الحق حاكم على كل أحد وقوله: ﴿**إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا**﴾ أي لا ترعاه لغناه ولا تشفق عليه لفقره، الله يتولاهما، بل هو أولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما. وقوله: ﴿**فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا**﴾ أي فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس لكم على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل الزموا العدل على أي حال كان»(1).

وقال سيد قطب: رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية:

«كونوا قوامين بالقسط – حسبة لله – لا لحساب أحد من المشهود لهم أو عليهم. ولا لمصلحة فرد أو جماعة أو أمة ولا تعاملا مع الملابسات المحيطة بأي عنصر من عناصر القضية ولكن شهادة لله، وتعاملا مع الله، وتجردًا من كل ميل .. ومن كل هوى، ومن كل مصلحة، ومن كل اعتبار.

«**ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين**».

وهنا يجند المنهج النفس في وجه ذاتها وفي وجه عواطفها تجاه ذاتها أولاً، وتجاه الوالدين والأقربين ثانيًا ... وهي محاولة شاقة ... أشق كثيرًا من نطقها باللسان. ومن إدراك معناها ومدلولها بالعقل ... إن مزاولتها عمليًا شيء آخر غير إدراكها عقليًا ... ولكن

(1) تفسير ابن كثير، ٤١٣/٢.

المنهج يجند النفس المؤمنة لهذه التجربة الشاقة.

والهوى صنوف شتى ذكر منها بعضها ... حب الذات هوى ...وحب الأهل والأقربين هوى، والعطف على الفقير في مــوطن الشهادة والحكم هوى ... ومجاملة الغني هوى، ومضارته هــوى، والتعصب للعشيرة والقبيلة والأمة والدولة والــوطن، في موضــع الشهادة والحكم هوى، وكراهة الأعداء ولو كانوا أعداء الدين في موطن الشهادة والحكم هوى ... وأهواء شتى الصنوف والألــوان ... كلها مما ينهى الله الذين آمنوا عن التأثر بها، والعدول عن الحق والصدق تحت تأثيرها»(١).

فالعدل والإنصاف واجب حتى مع الكفار كما قال تعــالى: **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَــرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾** [المائدة: ٢]. وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُــوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَــى أَلَّــا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَــبِيرٌ بِمَــا تَعْمَلُونَ﴾** [المائدة: ٨].

قال القرطبي في هذه الآية: «واشهدوا بالحق من غير ميل إلى أقاربكم وحيف على أعدائكم ... ولا يجرمنكم شنآن قوم علــى ترك العدل وإيثار العدوان على الحق ... ودلت الآية أيضًا على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه ...»(٢).

---

(١) في ظلال القرآن ٢/٧٧٦، باختصار.

(٢) تفسير القرطبي ٦/١٠٩-١١٠ باختصار.

ويشهد لهذا قول عبد الله بن رواحة – رضي الله عنه – لما بعثه النبي ﷺ، يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال: والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي ولأنـــتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت الســـماوات والأرض (1).

والمقصود: أن على الإنسان أن يتحرى الصدق والعدل فيمـــا يأتي وما يذر وفيما يقول ويفعل، لا بهوى النفس ورغبات النـــاس، وعليه ألا تزيله المواقف العابرة عن الأصول الثابتة.

ففي مقام الولاء والبراء مثلاً عليه أن ينطلق من الأصل الثابت وهو موالاة المؤمنين كما قال تعالى: **﴿وَالْمُؤْمِنُـــونَ وَالْمُؤْمِنَـــاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾** [التوبة: ٧١]. فلا تزول هذه الموالاة بخلاف عابر أو جرم ظاهر لا يخرج عن دائرة الإسلام. وإن كانت هـــذه الموالاة تزيد وتنقص بحسب الطاعة والمعصية.

كما أن على المسلم أن ينطلق من الأصل الثابت في العداء والبراء من الكافرين. فلا يتولاهم لمعروف صنعوه أو عمل أقاموه لقوله تعالى: **﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَـــنْ حَـــادَّ اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ﴾** [المجادلة: ٢٢] وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** [المائدة: ٥١].

(١) رواه البيهقي، في دلائل النبوة، ٤/٢٣٠.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

«وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليـــك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك، فإن الله – سبحانه – بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحـــب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه والإهانـــة لأعدائـــه، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه ، وإذا اجتمع في الرجل الواحـــد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية، وسنة وبدعة، اســـتحق مـــن الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقـــير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة. وخـــالفهم الخـــوارج والمعتزلة ومن وافقهم»[(١)].

وبعد هذا فإنه يحق للإنسان أن يعجب من أناس لا يستطيعون – عمليًا وواقعيًا – أن يوالوا الشخص من وجه ويعادوه من وجـــه آخر بل لا يعرفون إلا الموالاة جملة أو المعاداة جملة، بل ربما يعادون بعض المسلمين كعدائهم للكافرين.

وليس معنى هذا الكلام ترك الإنكار على المبطلين ولا الرضـــا بعمل المفسدين والعاصين ولا السكوت عن التحذير مـــن ضـــلال المنحرفين، بل يواجه الزائغون بالطرق المشروعة من الهجر والإنكار أو التأليف حسب ما تقتضيه المصلحة مع كره أعمالهم وقلة الحب

(١) مجموع الفتاوى، ٢٠٧/٢٨.

لهم وبقاء أصل الموالاة الإيمانية لهم ما داموا في دائرة الإسلام.

وعلى كل حال فالميزان الدقيق في هذه المسألة إنما يحصل بالعلم والعدل والخشية لله، فبالعلم يرتفع الحكم بالجهل، وبالعدل يبعد الإنسان عن الظلم، والخشية لله هي التي تورث الإنسان ورعًا ومراقبة وتحريًا فيما يقوله ويفعله، وتضبط مشاعره وانفعالاته، وتحجزه عن بغيه وعدوانه.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –:

«والإنسان خلق ظلومًا جهولاً، فالأصل فيه عدم العلم وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائمًا إلى علم مفصل يزول به جهله، وعدل في محبته وبغضه، ورضاه وغضبه، وفعله وتركه، وإعطائه ومنعه، وأكله وشربه، ونومه ويقظته، فكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى علم ينافي جهله، وعدل ينافي ظلمه فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم»(١).

وقال في موطن آخر وهو يتكلم عن الحديث السابق: «ثلاث مهلكات ...» الحديث «فخشية الله بإزاء اتباع الهوى، فإن الخشية تمنع ذلك كما قال: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾** [النازعات: ٤٠]. والقصد في الفقر والغنى بإزاء الشح المطاع، وكلمة الحق في الغضب والرضا بإزاء إعجاب المرء بنفسه»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٤/٣٨.
(٢) مجموع الفتاوى ١٤/٤٨٠.

ثانيًا: استحضار عواقب اتباع الهوى وآثاره السيئة في الدنيا والآخرة ففي الدنيا تناقض وذلة وفي الآخرة عذاب وحسرة.

قال ابن الجوزي في ذكر علاج الهوى:

«أن يفكر في عواقب الهوى، فكم قد أفات من فضيلة، وكــم قد أوقع في رذيلة، وكم من مطعم قد أوقع في مرض، وكم من زلة أوجبت انكسار جاه وقبح ذكر مع إثم.

غير أن صاحب الهوى لا يرى إلا الهوى، فأقرب الأشياء شبهًا به في المدبغة، فإنه لا يجد ريحها حتى يخرج فيعلم أين كان»[1].

ثالثًا: أن يعوّد نفسه مخالفة هواها، ويأخذ بزمامها. ويقــوى إرادته، ويروض نفسه على الحق والنطق به والانتصار له ممن كــان ولمن كان، كما يروضها على ترك الانتصار والمتابعة للباطل، وعلى ترك المماراة والجدل بغير علم، ولو كان عن نفسه، فليس للإنسان أن يجادل عن نفسه إذا كانت مبطلة فكيف عن غيره.

وما أحسن ما قاله أبو العتاهية:

خالف هواك إذا دعــاك لريبــة
فلرب خــير في مخالفــة الهــوى
حتى متى لا ترعوي يا صــاحبي
حتى متى حتى متى وإلى مــتى [2]

(١) ذم الهوى، ص١٤.

(٢) البيتان في ديوان أبي العتاهية، ص٢٦-٢٧، وهما من قصيدة واحدة وليسا متعاقبين.

وقال أيضًا:

سبحان ربك كيف يغلبك الهوى

سبحانه إن الهوى لغلوب

سبحان ربك ما تزال وفيك عن

إصلاح نفسك فترة ونكوب (١)

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –:

«إنه لا يجوز الجدال عن الخائن، ولا يجوز للإنسان أن يجادل عن نفسه إذا كانت خائنة، لها في السر أهواء وأفعال باطنة تخفى على الناس، فلا يجوز المجادلة عنها...

وقد قال تعالى: ﴿**بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**﴾ [القيامة: ١٤-١٥]. وقد قال النبي ﷺ: «**أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم**»(٢) فهو يجادل عن نفسه بالباطل وفيه لدد: أي ميل واعوجاج عن الحق، وهذا على نوعين:

أحدهما: أن تكون مجادلته وذبه عن نفسه مع الناس.

والثاني: فيما بينه وبين ربه، بحيث يقيم أعذار نفسه ويظنها محقة وقصدها حسنا وهي خائنة ظالمة، لها أهواء خفية قد كتمتها حتى لا يعرف بها الرجل حتى يرى وينظر»(٣).

---

(١) ديوان أبي العتاهية، ص٤٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب الألد الخصم، ١١٧/٨، ومسلم في كتاب العلم برقم ٥، ٢٠٥٤/٤.

(٣) مجموع الفتاوى، ٤٤٤/١٤-٤٤٥ باختصار.

رابعًا: أنه يتصور تلك الأهواء في حـــق غـــيره، ثم يـــتلمح عاقبتها بفكره، فإنه سيدرك مدى ســـوئها وقبحهـــا، وافتضـــاح صاحبها وحقارته وجبنه وسفالته.

خامسًا: الإكثار من مجالسة أهل التقوى والخشية والعـــدل والإنصاف والرؤية القويمة للأمور، وفي المقابل يبتعد عن مجالســـة أهل الأهواء، ويحذر منهم ويمحص كل ما يصدر عنهم من أقـــوال وأفعال وتصرفات وألا يقترب منهم إلا لنصحهم ومعالجتـــهم. إن كان يستطيع ذلك وظن استجابتهم له وانتفاعهم به.

سادسًا: أن يكون وقافًا عند النصوص الشرعية يزن كل ما يصدر منه ومن غيره بميزان الشرع غير متأثر بإرجاف المرجفين، أو تزيين المفسدين، أو أهواء البطالين، أو غير ذلك من أحوال النـــاس الفاسدة التي ليس لها اعتبار في الشرع. فإن لم تكن لديـــه القـــدرة والأهلية للنظر في النصوص الشرعية فليسأل أهل الذكر وليســـتفت أهل العلم.

سابعًا: اتهام النفس ومحاسبتها دائمًا فيما يصدر منها وعـــدم الاغترار بأهوائها وتزييناتها وخداعها.

ثامنًا: الإكثار من استشارة أهل العلم والإيمـــان واســـتجلاء آرائهم حول ما يريد أن يقوله ويفعله وكذلك ترويض النفس على استنصاح الآخرين وتقبل الآراء الصحيحة الصائبة وإن كانت مخالفة لما في النفس.

تاسعًا: التريث وعدم الاستعجال في إصدار الأحكام وإمضاء

الأعمال، والحذر من ردود الأفعال التي قد يكون فيها إفــراط أو تفريط وغلو أو تقصير، وجهل وبغي وعدوان.

عاشرًا: الإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يجنبـــه اتباع الهوى ومضلات الفتن ويسأله تعالى أن يوفقه لقول كلمة الحق في الغضب والرضا. كما كان من دعائه ﷺ: «**وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب**»[1]. ويكثر من الدعاء الذي علمه رســـول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب وهو قوله: «**اللهم اهـــدني وســـددني**»[2] ويدعو بدعاء الرسول ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك مـــن منكـــرات الأخلاق والأعمال والأهواء**»[3].

***

(١) رواه النسائي في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر ٣/٥٥، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير ١/٢٧٩.

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، برقم ٧٨، ٤/٢٠٩٠.

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني كما في صحيح سنن الترمذي، ٣/١٨٣.

الخاتمة

الحمد لله وبعد، فقد تبين فيما سبق أن اتباع الهـــوى خطـــير جدًا،وأرى أنه لا زال بحاجة إلى كتابة أو كتابات دقيقة وعميقـــة لتشخيصه والتذكير بخطورته والتواصي باجتنابه والحذر منـــه، لأن الفتن كثيرة، والأهواء جامحة، والنفوس ضعيفة، وهي كـــثيرًا مـــا تنساق مع الأهواء من حيث تشعر أو لا تشعر.

فالواجب على كل مسلم التنبه لذلك وأن يكون له جهـــد في مقاومته عن نفسه وعن غيره قدر ما يســـتطيع بـــالعلم والعـــدل والإخلاص في ذلك كله.

ونسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين لما يحبه ويرضاه وأن يسلك بهم صراطه المستقيم ويجنبهم مضلات الهوى والفتن وأن يهـــديهم ويسددهم في أقوالهم وأفعالهم وتوجهاتهم، وأن يؤلف بين قلـــوبهم وأن يريهم الحق حقًا ويرزقهم اتباعه ، والباطل بـــاطلاً ويـــرزقهم اجتنابه ، وأن يوحد صفوف خاصتهم وعامتهم تحت راية الســـنة واتباع منهج سلف الأمة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصـــلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

فهرس المراجع

- الإبانة لابن بطــة، الناشــر دار الرايــة، الطبعــة الأولى ١٤٠٩هـــ.

- الاعتصام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم الشــاطبي، المكتبــة التجارية الكبرى بمصر.

- البداية والنهاية، لإسماعيل بن كثير، الطبعة الأولى ١٩٦٦م، مكتبة المعارف، بيروت.

- بهجة المجالس وأنس المجالس، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق محمد الخولي، دار الكتاب العربي، بيروت.

- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير، الطبعــة الثانيــة، ١٣٨٩هـــ، دار الفكر.

- جامع العلوم والحكم، للحافظ عبد الرحمن بــن رجــب، الناشر المكتبة السعيدية بالرياض.

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الناشر: دار الكتب العــربي ١٣٨٧هـــ.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، الناشــر دار الكتــب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـــ.

- ديوان أبي العتاهية: دار صادر للطباعة والنشــر، بــيروت ١٣٨٤هـــ.

– ذم الهوى لأبي الفرج ابن الجوزي تحقيق مصـــطفى عبـــد الواحد، الطبعة الأولى ١٣٨١هـــ.

– الذيل على طبقات الحنابلة، لأبي الفرج ابن رجب، تصحيح محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـــ.

– السنة لابن أبي عاصم، تخريج المحدث الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي.

– سنن الدارمي، الناشر دار إحياء السنة المحمدية.

– سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد البـــاقي، دار إحيـــاء التراث العربي.

– سنن النسائي، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـــ، المطبعة المصـــرية بالأزهر.

– صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية بتركيا ١٩٧٩م.

– صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني – الطبعـــة الثانيـــة ١٤٠٦هـــ، المكتب الإسلامي – بيروت.

– صحيح سنن الترمذي، للمحدث محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتب التربية لدول الخليج، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـــ.

– صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٤٠٠هـــ.

– صيد الخاطر، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق عبد القـــادر عطا، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

– ضعيف الجامع الصغير وزيادته، للألباني، الطبعـــة الثانيـــة ١٣٩٩هـــ، المكتب الإسلامي – بيروت.

– في ظلال القرآن، لسيد قطب، الطبعة التاسعة ١٤٠٠هـــ، دار الشروق.

– القائد إلى تصحيح العقائد، لعبد الرحمن المعلمـــي، الطبعـــة الأولى ١٤٠١هـــ.

– الكافية في الجدل، لإمام الحرمين الجويني، وتحقيق د. فوقيـــة حسين، مطبعة البابي الحلبي عام ١٣٩٩هـــ.

– مجموع الزوائد ومنبع الفوائد للـــهيثمي، الطبعـــة الثانيـــة ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت.

– مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابـــن تيميـــة، الطبعـــة الأولى ١٣١٨هـــ – مطابع الرياض.

– مسند أحمد، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـــ، المكتب الإسلامي، دار صادر – بيروت.

– منهاج السنة النبوية – شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيـــق د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـــ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

– منهاج اليقين شرح كتاب الدنيا الـــدين، لخـــان زاده، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـــ.

– المنية والأمل، لابن المرتضى، تحقيق محمد جواد مشكور، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـــ.

فهرس الموضوعات

***